التربية بالنعم في ضوء سورة الأنعام - الحمد أنموذجا- دراسة موضوعية

أ. سناء عدنان بدر البطرني* د. خالد نبوي سليمان**

سلم البحث في ١٤٤١/٩/٢هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤١/١٠/٦هـ

ملخص البحث:

حاول البحث حل مشكلة لاحظتها عند اطلاعي على دراسات من تناول سورة الأنعام ألا وهي تناولها من جانب أحكامها الفقهية على المجتمع وعدم تناولها من حيث أثرها على الفرد ذاته وتربيته بكل آية وموضوع من موضوعاتها وهدفت في بحثي إلى استخراج تلك الآثار واستشعار النعم الموجودة في السورة ودراسة أثرها النفسي على المسلم لكي تكون السورة فاعلة في إصلاح قلب العبد بنعم سيده كما هي فاعلة بأحكامها في المجتمع، وقد اتبعت الباحثة المنهجين الاستقرائي الوصفي الموضوعي والمنهج التحليلي بحيث جمعت آيات الموضوع الواحد ثم حللتها واستخرجت ما يمكن استخراجه من النعم المستفادة مراعية ترتيب ورودها في السورة، وتوصلت إلى عدد من النتائج من أهمها لفت النظر للنعم المبثوثة في السورة وفتح الباب للمتعاملين مع هذه السورة لكي يتناولوها بهذه الطريقة التي تشبع الروح وتحث العقل على الاستفادة منها.وتبرز أهمية البحث في كونه يعد تطبيقا عمليا لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضُّحى:١١] فهو يعالج قضية تربية المسلم لنفسه بالنعم والزمان زمان غربة للدين وميل عام لتناسي النعم فيعيد نمط الدراسة استشعار ما قد يغفل المسلم عنه ويستفيد من النعم في تربية نفسه ومن أبرز أنواع النعم التي ربانا الله تعالى بها في السورة فقد تناولت في دراستي تربية الله لنا بحمده، وتربيته لنا بنعمة الخلق، وتربيته لنا من خلال مظاهر ولايته، وتربيته لنا بذكر صور رحمته، كما ربانا بالنعم العقلية الجوارحية الذاتية، والنعم البشرية المجتمعية، وربانا بنعمة الكون وأنظمته، وأنظمة تشريعاته وأحكامه.

الكلمات الدلالية: التربية، النعم، الأنعام، موضوعية.

Abstract:

he research, which is in your hands, tries to solve the problem that I noticed while I was examining the studies dealing with Surah Al-An'am. These studies deal with Surah Al An'am in terms of its jurisprudential provisions in society, but not in terms of its impact on the individual itself and its education, in each verse and subject therein. I aimed in my research to extract those effects and to perceive the blessings in the Surah and to

* باحثة ماجستير بجامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الإسلامية، قسم القرآن الكريم وعلومه

** الأستاذ المشارك بجامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الإسلامية، قسم القرآن الكريم وعلومه

study its psychological impact on Muslim, so that the Surah would be effective in the reform of the heart of the God's servant by means of knowing the blessings of its Lord as same as it has effective provisions in society. The researcher has followed an objective analytical induction method so that she collected the verses of one subject and then analyzed and extracted what It can be extracted from the blessings learned taking into account how those verses are ordered in the Surah, and reached a number of results, the most important of which is to draw attention to the blessings outspreaded in the Surah and open the door for dealers with this Surah to deal with it in this way that saturates the soul and urges the mind to benefit from it.The importance of the research is highlighted in the fact that it is a practical application of the God's statement: " And proclaim the grace of your Lord.". The research deals with the issue of how the Muslim can educate itself by means of the blessings in the time of alienation of religion and where there is a general tendency to try to forget the blessings. In addition, the study style repeats the pattern of sensing what may be overlooked by the Muslim and benefit from blessings in the education of itself. As a summary of the types of blessings that God taught us in the Surah, I dealt with how God educated us by means of thanking him, by means of the grace of creation, by means of the aspect of His custody, by means of the forms of his mercy, He educated us by means of the personal mental and sensational blessings, the human community blessings, He educated us by means of grace of the universe and its systems, and its regulations and legislation, a We thank God our Lord for what He blessed us. Our intention is to satisfy our God who grants success. and we thank Allah the god of everything.
Key words: breeding, blessings, cattle, objective.

المقدمة:

شكل القرآن الكريم في منهاجه ومضمونه الأصولَ التربوية المطلوبة لتشكيل الشخصية السوية المتوازنة في التعامل مع خالقها والمحيطين بها، وهذه النعم من فضله ﷻ علينا أن ربّانا بها، وتربيته لنا بها دعوة للمحافظة عليها وعدم التفريط بها، وذلك بطاعته في طريقة التعامل معها واستخدامها، وقد بين القرآن الكريم وسورة الأنعام بالذات –التي نحن بصدد الحديث عنها– إرشادات في التربية بهذه النعم العظيمة واستغلالها وتوجيهها؛ لتحقيق حاجاتنا ومتطلبات حياتنا الحياتية والروحانية على مستوى الفرد والمجتمع، بل على مستوى العالم.

وبالرغم من أهمية هذا الموضوع إلاَّ أنه لم يُعط حقه في البحوث، ولم توجد بحوث تتصدّى للكلام عن التعريف بالنعم، واستشعار تربية الله ﷻ لنا بنعمه، وبيان المنهج التربوي فيها من خلال سورة الأنعام.

ولذلك يكون الحديث في هذا البحث عن المنهج التربوي الذي سلكه القرآن الكريم لنا في ضوء سورة الأنعام، ونخص بالحديث التربية بالنعم التي حددها الله لنا

في هذه السورة، نعمة تلو الأخرى، ونلاحظ من خلال البحث في آيات الله الكونية والتشريعية وآيات قدرته في خلقه وتدبيره وآيات رحمته وآيات ولايته لعباده المخلصين من الأنبياء والصالحين، وفي بحثنا عرض النعم المتنوعة، ونعرف لماذا تنوعت التوجيهات الربانية للمسلمين والآيات التحذيرية والتخويفية للكافرين والمكذبين؟ لنفقه مراد الله ﷻ من كل آية أوصلنا إليها وأبلغنا بها.

أسباب اختيار البحث:

هناك مجموعة من الأسباب التي قادت الباحثة؛ لاختيار هذا البحث، ومن أبرزها مايأتي:

- التعرف على الله ﷻ بنعمه العظيمة من خلال سورة الأنعام.
- استشعار تربية الله ﷻ بالنعم من خلال الحديث عنها في ظلال سورة الأنعام.
- تسخير هذه النعم وتوجيهها في إصلاح علاقة الفرد مع ربّه –سبحانه– ومع الناس.
- معرفة حقيقة الابتلاء بالنعم والنقم.
- تحقيق الغاية التي من أجلها سخّر الله ﷻ لنا هذه النعم.
- استشعار حاجة الأمة إلى الرجوع لمنهاج ربها التربوي على مستوى الفرد والجماعة؛ لتحيا الحياة الطيبة الهانئة في الدنيا والآخرة.

إشكالية البحث:

- بالنظر لما تقدم به الباحثون في سورة الأنعام نجد أنهم تناولوها من جانبها التشريعي والفقهي العملي كما سترد في الدراسات السابقة، ولم أجد ما ينم عن جهد متخصص يدرس السورة من جانبها التربوي الشخصي الذاتي الذي يجعل الفرد يستثمر السورة في تربية نفسه وزيادة إيمانه وتطوير عقله فجاء هذا البحث لتغطية تلك الفجوة في هذا الجانب في سورة الأنعام، غير أنني ركزت على جزئية التربية بالنعم بالذات لما يغلب على عالمنا اليوم من جحود للنعم، والتعامل غير اللائق مع منعمها، فأدى إلى ظلم العبد لنفسه في الدرجة الأولى، ثم ظلمه لمن حوله في المجتمع، وأدى هذا الظلم إلى الضياع، والسبب في ذلك غفلة الأمة أفرادًا وجماعات.

أسئلة البحث:

تنطلق الباحثة في البحث من خلال الإجابة عن السؤال الرئيس:

ما أثر التربية بالنعم على اختلاف أشكالها وتنوعها، من خلال استقراء آيات سورة الأنعام؟ والإجابة عن هذا السؤال تتطلب منا الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما معنى التربية؟ وكيف ربّانا الله ﷻ بنعمه في ضوء هذه السورة؟

– كيف عرَّفنا الله ﷻ بذاته العلّية من خلال سورة الأنعام؟
– ما أثر التربية بالنعم من خلال حمده وخلقه وفعله –سبحانه–؟
– ما أثر التربية من خلال النعم الذاتية والبيئية؟
– ما السبيل إلى عودة الفرد والمجتمع للحياة الآمنة والسعادة في الدنيا والآخرة؟

أهداف البحث:

– بيان معنى التربية، واستشعار نعم الله ﷻ علينا في تربيته لنا.
– معرفة الله ﷻ من خلال سورة الأنعام.
– بيان أثر التربية بالنعم من خلال حمده وخلقه وفعله –سبحانه–.
– بيان أثر التربية من خلال النعم الذاتية البيئية.
– بيان سبل عودة الفرد والمجتمع للحياة الآمنة والسعادة في الدنيا والآخرة.

مصطلحات البحث:

معنى التربية لغةً: كلمة التربية أصلها في اللغة من فعل: (ربو) أو (ربى)، ومنه: ربيت في حجره، وربوتُ، ورَبِيتُ، ويقال: ربَوتُ في بني فلان أَربو: نشأت فِيهم، وربَّيتُ فلانًا أُرَبيّه تربيةً، وتَرَبَّيته وربْتُه وربّـبته: غذوته(١).

معنى التربية اصطلاحًا: الرَّبُّ في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلى حدّ التمام(٢).

معنى النعم لغة: طيب العَيْش واتساعه، وَيُقَال: "نُعْمَى عين: أفعل ذَلِك إِكْرَامًا لعينك". والنِّعْمَة: مَا أنعم بِهِ من رزق وَمَال وَغَيره(٣).

معنى النعم اصطلاحا: من وجهة نظر الباحث: ما لا نستطيع حصره من الحاجيات والأرزاق الذاتية والعقلية والروحية والنفسية والبيئية والكونية والمالية والصحية والأمنية، وكل ما يلبي به المرء من ضروريات وحاجيات وتحسينيات.

الدراسات السابقة:

وقد قمت بترتيب الدراسات ترتيبًا زمنيًّا:

١– **(دراسة أسلوبية في سورة الأنعام):** رسالة ماجستير في قسم اللغة العربية –كلية الآداب والعلوم الإنسانية، إعداد سمانة قلاوند، المشرف حسين كياني، عام ١٣٩١هـ.

وقد كان هذا البحثُ دراسةً نظريةً لمفهوم الأسلوبية وعلاقتها بالبلاغة وعلم اللغة والنقد، وتحدث عن مناهج الأسلوبية وكيفية التحليل الأسلوبي والتضاد، ودرس الظواهر الأسلوبية المتكررة والتناسق الفني والموضوعي في السورة. واعتمدت دراسة الباحث على المنهج الوصفي التحليلي وتناول نص القرآن ألفاظًا وَجُمَلًا بدراسة

أسلوبية، تجري ضمن منهج أدبي، لا يتعدى مجاله إلى قضايا شرعية أو عقدية.

أمَّا البحث الذي نحن بصدده فهو تعرض لمنهاج تربوي، وهو التربية بالنعم دراسة موضوعية تطبيقية، أما بحثه فاعتمد على المنهج الوصفي التحليلي لآيات السورة.

٢- **(الأصول النظرية التربوية الإسلامية وتطبيقاتها التربوية المستخلصة من سورة الأنعام)**، إعداد بني عيسى وائل محمد فخري، والمشرف الدكتور أحلام محمود، عام ٢٠١٣م.

وقد تناولت الباحثة في بحثها الأصول النظرية التربوية وتطبيقاتها المستخلصة من سورة الأنعام، واستخدمت المنهج الاستقرائي التحليلي، وسعت إلى إبراز منهاج تربوي متكامل في أهدافه ومحتواه وطرق تدريسه وأنشطته التربوية وتقويمه، وسعت هذه الدراسة إلى تبصير المسلم وتعريفه بسورة الأنعام والأصول النظرية التربوية الإسلامية، التي تشكل منطلقًا لتربية الإنسان، كما سعت إلى إفادة مخططي مناهج التربية الإسلامية وإبراز مضامينها التربوية.

وقد اقتصرت الدراسة على دراسة أصول النظرية التربوية الإسلامية في سورة الأنعام دون غيرها من الجوانب، وعالج البحث الذي نحن بصدده موضوع منهاج التربية بالنعم من خلال هذه السورة.

٣- **(منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الأنعام - دراسة موضوعية)**، إعداد جيهان حسن اليازجي، بإشراف الدكتور صبحي رشيد، عام ٢٠١٣م.

ويحتوي بحثها على منهجيات في الإصلاح والتغيير، وحاولتْ وضعَ حلولٍ لبعض مشاكل الأمة الإسلامية من خلال تتبع الآيات، والوقوف على المناهج الموجودة فيها، ودراستها دراسة تفسيرية تطبيقية، ثم ربط هذه السورة بالواقع، واعتمدت الباحثة في بحثها على المنهج الاستقرائي والاستنباطي.

والذي يتميز به بحثي أنه ليس مقتصرا على الإصلاح والتغيير فقط، وإنما تناول التربية بالنعم بشكلٍ عامٍ.

٤- **(الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخامس عشر من القرآن الكريم (سورة الأنعام الآيات ١١١-١٦٥)**، إعداد: لؤي سعد الدين أبو سويرح، بإشراف الدكتور محمود هاشم عنبر، عام ١٤٣٥هـ- ٢٠١٣.

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير

وعلوم القرآن، قسم الباحث آيات الحزب الخامس عشر إلى مباحث متنوعة جاعل لكل مبحث آياته المناسبة له حسب موضوع آيات المبحث نفسه، وقد قام بتحديد واستنباط ما تحتويه آيات كل مبحث من مقاصد وأهداف وتحليلها، وربط هذه المقاصد بواقع الأمة لحل مشاكلها.

الدراستان تتفقان في أنه: توصل إلى نتائج تتفق مع النتائج التي توصلت إليها وهي ترسيخ العقيدة في نفوس المسلمين، وأن الإيمان له أثر كبير في حياة الناس وبه يحصلون على سعادة الدنيا والآخرة وتتفق أيضا الدراستان في الاعتماد على المنهج التحليلي الموضوعي في التفسير.

وتختلف الدراستان: في أن دراستي كانت تستقرئ الموضوع الواحد في السورة كاملة مركزة على الجانب التربية باستشعار النعمة بينما دراسته جاءت لتستقرئ مطالب السورة بالترتيب مقسما إياها لعدة مقاطع.

منهج البحث:

يناسب هذه الدراسة المنهج الوصفي(٤) والتحليلي(٥) لتتبع ظاهرة تربية الله ﷻ بالنعم، وذلك من خلال سورة الأنعام، وسيتم استقراء الآيات التي تتناول كيفية استخدام الله ﷻ نعمه لابتلاء الناس ورؤية شاكرهم من جاحدهم، كما سيتم استقراء آراء المفسرين لتلك الآيات، وعرض شروحها وتحليلها؛ لاستنباط هذه الظاهرة.

إجراءات البحث:

- أتناول سورة الأنعام ثم –إن لزم الأمر– الاستشهاد بآيات أخرى من سور أخرى تخدم البحث وتعززه، وبأحاديث نبوية تخدم البحث مع عزوها إلى مظانها وتخريجها.
- استنبط مواضع تربية الله ﷻ للناس بالنعم.
- أعتمد على مصادر تفسير القرآن الكريم واستقراء آراء المفسرين ومصادر أخرى.
- أرجع إلى الدراسات السابقة، والمقارنة بينها وبين البحث.

حدود البحث:

وحدود هذا البحث سيقتصر على سورة الأنعام والدروس المستفادة من التربية بالنعم فيها.

أدوات البحث:

كتب التفسير التي تناولت سورة الأنعام.

ويشتمل البحث على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول
أسماء سورة الأنعام ووجه تسميتها وعدد آياتها وفضلها
المطلب الأول: أسماء سورة الأنعام ووجه تسميتها

لهذه السورة اسمان:

الأول: سورة الأنعام؛ لما فيها من ذكر الأنعام مكررًا، قال -تعالى-: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٣٦]، وقال-تعالى-: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٣٨]، وقال: ﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٣٩]، وقال-تعالى-: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٤٢].

الثاني: سورة الحُجّة؛ لأنها مقصورة على ذكر حجة النبوة، يقول-تعالى-: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٤٩](٦).

قال الإمام الزركشي رحمه الله: "سميت الأنعام؛ لما ورد فيها من تفصيل أحوالها، وإن كان قد ورد لفظ (الأنعام) في غيرها، إلا أن التفصيل الوارد في قوله -تعالى-: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٤٢] إلى قوله-تعالى-: ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٤٤] لم يرد في غيرها"(٧).

"وسميت بـ(الأنعام)؛ لما ورد من ذكر أحكام الأنعام فيها، ولبيان السورة لجهالات المشركين فيها، كتحليلهم وتحريمهم حسب أهوائهم وتقاليدهم البالية وتقربهم بها إلى أصنامهم، فنزلت هذه السورة؛ لتبين بطلان ما اتخذوه من أمرها دينًا لم يأذن به الله"(٨).

ويقول صاحب المنار رحمه الله: "لو سميت سورة من القرآن الكريم بما يدل على جُل ما تشتمل عليه كل سورة أو على أهمه لسميت هذه السورة سورة عقائد الإسلام أو سورة التوحيد، فهي مفصلة لعقيدة التوحيد مع دلائلها وما تجب معرفته من صفات الله –تعالى– وآياته، ولرد شبهات الكفار على التوحيد، ولإثبات الرسالة والوحي، وللبعث والجزاء والوعد والوعيد"(٩).

وترى الباحثة أن تسمية هذه السورة بالأنعام فيه إشارة إلى أن تلك الأنعام الأصل أنها خُلقت وجُعلت وسيلة وسببًا لتوحيد الله ﷻ والتفكر فيها بكونها نعمًا من الله –تعالى–، "وكان من مقاصد تسمية السورة الجليلة بسورة الأنعام بيان أهمية الأنعام وعلاقتها بالحياة وأهمية وجودها، وأنه إذا غُيّر مقصدها الذي خُلقت لأجله كانت وبالًا على البشر، والآيات تحدثت عن أهمية الأنعام، وأنها خُلقت نعمة للعباد، ويعبر هذا عن الارتباط الوثيق بين اسم السورة الكريمة والتربية بالنعم فيها، ولكن العباد باتّباعهم الشيطان عبدوها، وهذا تحول للعقل السليم والفطرة الطيبة"(١٠).

المطلب الثاني: عدد آيات سورة الأنعام وفضائلها

أولًا: عدد آياتها:

قال أبو عمرو الداني رحمه الله: "وهي مئة وخمس وستون آية في الكوفي، وست في البصري والشامي، وسبع في المدنيين والمكي، اختلافها أربع آيات: ﴿..وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ..﴾ [سورة الأنعام، جزء من الآية: ١] عدها المدنيان والمكي ولم يعدها الباقون، ﴿..قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [سورة الأنعام، جزء من الآية: ٦٦] عدها الكوفي ولم يعدها الباقون، ﴿.. كُن فَيَكُونُ﴾[سورة الأنعام، جزء من الآية: ٧٣]، ﴿..إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الأنعام، جزء من الآية: ١٦١] الثاني بعده ﴿..دِينًا قِيَمًا ..﴾ [سورة الأنعام، جزء من الآية: ١٦١] لم يعدهما الكوفي، وعدها الباقون"(١١). وعدد كلماتها اثنتان وخمسون وثلاثة آلاف كلمة، وعدد حروفها أربعون ومائتان واثنا عشر ألفًا.

ثانيًا: فضائلها

القرآن كله فضله عظيم، ونوره مبين، ولسورة الأنعام فضائلها العظيمة، فهي إحدى السور الطوال التي ذكرها الرسول ﷺ في قوله: "أُعطيت مكان التوراة السبعَ، وأُعطيت مكان الزبور المئين، وأُعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفُضّلت بالمفصل"(١٢). ومن فضلها ما روي عن عمر ﷺ أنه قال: "الأنعام من نواجب القرآن"(١٣). ومن فضلها ما روي أنها نزلت جملة واحدة، وقد شيعها عشرات الآلاف

من الملائكة. فقد روى عن ابن عباس ﷺ أنه قال: "نزلت سورة الأنعام بمكة ليلةً جملةً، ونزل معها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح"(١٤). ويُروَى عن كعب ﷺ أنه قال: "فاتحة التوراةِ الأنعامُ، وخاتمتها هودٌ"(١٥).

المبحث الثاني
نزول سورة الأنعام ومناسباتها
المطلب الأول: نزول سورة الأنعام

نزلت بمكة جملة واحدة -على ما تقدم-، فهي مكية، إلا ثلاث آيات منها، نزلت بالمدينة، وهي قوله -تعالى-: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴿١٥١﴾..﴾[سورة الأنعام، جزء من الآية:١٥١] إلى قوله-تعالى-: ﴿.. ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأنعام، جزء من الآية: ١٥٣](١٦).

وأول آية نزلت في الأطعمة بمكة قوله -تعالى-: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً..﴾ الآية [سورة الأنعام، الآية: ١٤٥](١٧).

"ولما كان المقصود من هذه السورة بيان الخلق والملك أكثر فيها من ذكر الرب، الذي هو بمعنى المالك والخالق والمنشئ، واقتصر فيها على ما يتعلق بذلك من بدء الخلق الإنساني والملكوتي، والملكي والشيطاني، والحيواني والنباتي، وما تضمنته من الوصايا، فكلها متعلقة بالمعاش والقوام الدنيوي، ثم أشار إلى أشراط الساعة والبعث. فقد جمعت هذه السورة جميع المخلوقات بأسرها، وما يتعلق بها، وما يرجع إليها، فظهر بذلك مناسبة افتتاح السور المكية بها، وتقديمها على ما تقدم نزوله منها"(١٨).

المطلب الثاني: المناسبات في سورة الأنعام

أولًا: مناسبة سورة الأنعام للسورة التي قبلها (سورة المائدة):

افتتاح سورة الأنعام بالحمد مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء، كما قال -سبحانه-: ﴿. وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[سورة الزمر، جزء من الآية: ٧٥](١٩). فقد ختمت سورة المائدة بقوله -جل في علاه-: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٢٠]، وجاء في سورة الأنعام تفصيل ملك السماوات والأرض ومن فيهن، فبدأ بذكر خلق السموات والأرض والظلمات والنور، وذكر خلق النوع الإنساني، وكيف قضى له أجلًا مسمًى، وأنشأ قرونًا متوالية، وذكر ملكيته لكل ما في السماوات والأرض وما سكن فيهما ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[سورة الأنعام، الآية: ١٣].

وذكر خلقه للنوع الحيواني من الدواب والطير، وذكر خلقه للنوم واليقظة والموت والحياة، وخلقه للنجوم، وخلق الإصباح، وخلق الحب والنوى، وإنزال الماء، وإخراج النبات والثمار، وإنشاء الجنات المعروشات وغير المعروشات، وخلقه للأنعام، وهذه كله تفصيل لملكه وما فيه، وهو ما اختتمت به سورة المائدة(٢٠).

"وركن المناسبة الأعظم بين سورتي المائدة والأنعام أن المائدة معظمها في محاجة أهل الكتاب، والأنعام معظمها –بل كلها– في محاجة المشركين"(٢١).

ثانيًا: مناسبة سورة الأنعام للسورة التي بعدها (سورة الأعراف):

جاءت الأعراف بعدها متممة لما فيها، ومبينة لسنن الله –تعالى– في الأنبياء المرسلين وشئون أممهم معهم، وهي حجة على المشركين وأهل الكتاب جميعًا.

وسورة الأنعام فصلت الكلام في إبراهيم عليه السلام –الذي ينتمي إليه العرب وأهل الكتاب في النسب والدين–، وسورة الأعراف فصلت الكلام في موسى عليه السلام –الذي ينتمي إليه أهل الكتاب ويتبع شريعته جميع أنبيائهم–(٢٢).

ثالثًا: تعلق سورة الأنعام بالسور التي قبلها:

تعلقت هذه السورة بأكملها بسورة الفاتحة، في كونها شارحة لمجمل قوله –تعالى–: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة، الآية: ٢]، ورب العالمين هو المربي الذي ربى جميع العالمين بخلقه إياهم، وإعداده لهم، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، فجاءت سورة الأنعام تبين تربية الله –تعالى– لخلقه ورزقه لهم وهدايتهم لما فيه مصالحهم، وتربية لعامة خلقه بالإرشاد والتذكير والنذارة والتبشير والإمهال والوعد والوعيد، وفيها التربية لأوليائه خاصة بتسليتهم وتثبيتهم ودفع الصوارف عنهم(٢٣).

وتتعلق بسورة البقرة في كونها شارحة لمجمل قوله –تعالى–: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[سورة البقرة، الآية: ٢١]، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[سورة البقرة، الآية:٢٩]، فنجد سورة الأنعام تتكلم عن خلق الإنسان من الطين، وأن كل الدواب في الأرض أمم أمثالنا، خلقها الله كما خلقنا، وفصلت السورة في خلق ما في السماوات وما في الأرض وكيفية جعل الظلمات والنور، وفصلت في مخلوقات الله ﷻ، مما يجعل المتدبر لآيات الله والمتفكر فيها يخر ساجدًا لله؛ شكرًا على نعمه.

وتتعلق بسورة آل عمران من جهة تفصيلها لقوله –تعالى–: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ

ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٤]، وقوله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [سورة آل عمران، الآية:١٨٥]، فجاءت هذه السورة تفصل لهم حقيقة هاتين النعمتين العظيمتين: نعمة الأنعام ونعمة الحرث، وأنهما لا غنى للخلق عنهما في مأكلهم ومشربهم وسائر شئون حياتهم.

وتعلقت بسورة النساء من جهة ما فيها من بدء الخلق والتقبيح لما حرموه على أزواجهم وقتل البنات بالوأد.

وتعلقت بسورة المائدة من حيث اشتمالها على الأطعمة بأنواعها في قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [سورة المائدة، الآية:٤]، حيث فصل الله ﷻ الأطعمة في سورة الأنعام(٢٤).

رابعًا: مناسبات الآيات في سورة الأنعام (الفواتح والخواتيم):

افتتحت السورة الكريمة بقوله -تعالى-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١]، وذكر ﷻ في خواتيمها ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ.. ﴾[سورة الأنعام، جزء من الآية: ١٦٤]، فقد ذكر في بدايتها أن الذين كفروا بربهم يعدلون، وأما المؤمن فلا يعدل بربه شيئًا، فناسب بين البدء والختام. وأيضًا، فإن خلقه السموات والأرض وربوبيته في خلقه تقتضي توحيده في ألوهيته، فكيف أبغي غير الله إلهًا، وهو خالق السموات والأرض؟، وفي بدء السورة:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ..﴾[سورة الأنعام، جزء من الآية:١]، وفي الخواتيم: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ..﴾ [سورة الأنعام، جزء من الآية: ١٦٤](٢٥).

المبحث الثالث
تربية الله ﷻ لعباده بالحمد
المطلب الأول: التربية بالحمد بما هو أهله

من خلال تتبع بعض الآيات التي يستشعر فيها الإنسان كمال الله وعظمته وصفاته الجليلة، يعلم وجوب الحمد والشكر له -سبحانه- وأنّه أهلٌ للحمد والثناء.

- فقوله -تعالى-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ..﴾ [سورة

الأنعام، جزء من الآية: ١].

- وقوله -تعالى-: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾[سورة الأنعام، جزء من الآية: ٢].

- وقوله -تعالى-: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[سورة الأنعام، الآيتان: ١٧، ١٨].

- وقوله -تعالى-: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [سورة الأنعام، جزء من الآية: ٣٨].

- وقوله -تعالى-: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[سورة الأنعام، الآية: ٥٩].

- وقوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[سورة الأنعام، الآية: ٧٣].

- وقوله -تعالى-: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٠١].

- وقوله -تعالى-: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ﴾[سورة الأنعام، جزء من الآية: ١٣٣].

كلها تعلم الناس صفات الله الجليلة، وتوجب عليهم شكره وحمده -سبحانه-. يقول الله -جل وعلا- في محكم كتابه الكريم مفتتحًا سورة الأنعام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١].

افتتح ﷻ السورة بالإخبار بأن ذلك الحمد وغيره من المحامد مستحَقٌّ له استحقاقًا ثابتًا دائمًا، قبل إيجاد الخلق وبعد إيجاده، سواء شكرَه العبادُ أو كفروه؛ لما له ﷻ من صفات الجلال والكمال"(٢٦). فحمد الله ﷻ نفسَه -قبل أن يحمده أي شيء- على كماله وعظمته، فله الحمد وحده، وثناء الله على نفسه بافتتاحه بالحمد تربيةٌ لنا في استشعار ذاته العلية، التي تتجلى بصفاته الجميلة الجليلة، التي تستحق الحمد في الأولى والآخرة، فمن نظر في أسمائه الحسنى وصفاته العلى نظرة المتدبر لها امتلأ قلبه خضوعًا وحمدًا لله ﷻ. كما أن ثناء الله على نفسه وافتتاحه السورة بالحمد تربيةٌ لنا، لنحمده -سبحانه- في كل الأحوال وفي كل الأوقات، فعندما يفتتح الله ﷻ السورة بالحمد فذلك يعني أن هناك نعمًا عظيمة تستوجب منا الحمد والشكر له

ﷻ، فيبدأ العبد المؤمن بالتفكر في النعم التي جاءت بعد كلمة الحمد، فيعرف النعم العظيمة بتأملها، وأول هذه النعم الكونية خلق السموات والأرض؛ لأنهما ليستا أرضًا وسماءً فقط، بل ما تحويه كل منهما من النعم العظيمة. وحمد الله تعالى نفسه الكريمة تعليم للإيمان والثناء، وعبر بـ(الحمد لله)، ولم يقل: "أحمد الله"؛ لإفادة الثبوت والدوام، ولبيان أن ماهية الحمد وحقيقته ثابتة لله -تعالى- سواء استحضر ذلك بقلبه أم لا، أما إن قال: "أحمد الله" مع غفلة القلب عن استحضار المعنى كان كاذبًا(٢٧).

"ولم يقل (الشكر لله)؛ لأن الشكر عبارة عن تعظيم الله بسبب إنعامٍ صدر منه ووصل إلى العبد، وهذا يشعر بأن العبد إذا ذكر تعظيمه بسبب ما وصل إليه من النعمة فحينئذ يكون المطلوب الأصلي به وصول النعمة إليه، وهذه درجة حقيرة، ولكن إذا قال: "الحمد لله" فإنه يدل على أن العبد حمده لأجل كونه مستحقًّا للحمد، لا لخصوص أنه -تعالى- أوصل النعمة إليه، فيكون الإخلاص أكمل، واستغراق القلب في مشاهدة نور الحق أتم، وانقطاعه عما سوى الحق أقوى وأثبت"(٢٨).

بل وافتتاح هذه السورة بالحمد وافتتاح نظيرتها سورة الفاتحة -التي افتتح الله بها القرآن العظيم، وجعلها ركنًا من أركان الصلاة- دليل على رضا الله ﷻ عن هذا الذكر وحبه له؛ إذ افتتح بالحمد كتابه وبعض سوره، وجعل الحمد دليلًا على طاعته، ورضي بالحمد شكرًا له من خلقه، وهذه من أعظم أنواع التربية بالنعم، أن الله أعلمنا كيف نحمده بما يحب -سبحانه-، وكيف نذكره ونمجده ونعظمه.

أحيانًا يأتي إنسان، ويقول: "هذا الشخص أحسن إليّ كثيرًا، ولا أدري كيف أجازيه على إحسانه، ما الذي يدخل السرور إلى قلبه لإسعاده؟ "، فيحتار، كيف يكافئه ويشكره؟، الله ﷻ يختصر علينا الطريق للوصول لمحبته ورضاه، ويعلّمنا كيف نشكره بما يحب -سبحانه، وبما ارتضاه ورضيه من خلقه. يقول رسولنا الكريم محمد ﷺ: "ما أنعم الله على عبد نعمة فحمد الله عليها، إلا كان ذلك الحمد أفضل من تلك النعمة"(٢٩). وعن الأسود بن سَريع -وكان شاعرًا- أنه قال: "يا رسول الله، ألا أُنشدِك محامدَ حمدت بها ربي؟! "، فقال له النبي ﷺ: "أما إن ربك يحب الحمد"(٣٠).

وافتتاح سورة الأنعام بحمد الله فيه شرح وبيان لمعنى قوله -تعالى-: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة، الآية: ٢]، فجاءت سورة الأنعام بكاملها شرحًا وتفصيلًا لصدر فاتحة الكتاب، فمن أراد أن يفهم ويعرف معنى ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة، الآية: ٢] فليتل سورة الأنعام من أولها لآخرها ويعرف ما حوته من نعم

عظيمة، تجعله يحمد الله ﷻ كلما مر بآية، ويوحده ﷻ؛ لأنه المستحق وحده للحمد والعبادة، ومن أعظم النعم التي جاءت في هذه السورة نعمة التوحيد.

"فقد عنيت بالعقيدة والتوحيد، وكل قواعد التوحيد وأصول الإيمان ذُكرت في هذه السورة على وجه التفصيل والبيان بما لم نجده في غيرها من السور؛ لنعلم أن نعمة التوحيد من أجلّ وأعظم النعم التي أنعم الله بها على خلقه، ومن أعظم فضائل التوحيد أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي، ويكون مع ذلك متألهًا متعبدًا لله، لا يرجو سواه، ولا يخشى إلا إياه، ولا ينيب إلا إليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه"(٣١). والسبيل لتوحيده –سبحانه– وتقرير العقيدة هو معرفته وذكر عظمته وبيان قدرته في خلقه، وهذا ما تكرر كثيرًا في هذه السورة، والإقرار بما له من جميل الإنعام على عباده، وبما له من عظيم القدرة على خلقه ومخلوقاته، فهو ﷻ يستحق الحمد والثناء كله، لا يحصي الحمد والثناء عليه إلا هو وحده(٣٢).

قال قتادة رحمه الله: "فُتِح أولُ الخلق بالحمد لله، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ﴾ [سورة الأنعام، جزء من الآية: ١]، وختم بالحمد فقال: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الزمر، جزء من الآية: ٧٥]"(٣٣).

فالله ﷻ قد بدأ الخلق بحمده، وختم القيامة بحمده؛ لنتعلم أن بداية الخلق ونهايته قائمان على حمد الله –تبارك وتعالى–، وأن الله حمد نفسه في الأزل، وكان ذلك الحمد حقًّا له واجبًا على عباده(٣٤).

وقال الصابوني رحمه الله: "بدأ –تعالى– هذه السورة بالحمد لنفسه؛ تعليمًا لعباده أن يحمدوه بهذه الصيغة الجامعة لصنوف التعظيم والتبجيل والكمال، وإعلامًا بأنه المستحق لجميع المحامد، فلا نِدَّ له، ولا شريك، ولا نظير، ولا مثيل، ومعنى الآية: احمدوا الله ربكم المتفضل عليكم بصنوف الإنعام والإكرام، الذي أوجد وأنشأ وابتدع خلق السماوات والأرض بما فيهما من أنواع البدائع وأصناف الروائع، وبما اشتملا عليه من عجائب الصنعة وبدائع الحكمة، بما يدهش العقول والأفكار تبصرة وذكرى لأولي الأبصار"(٣٥).

فهو المستحق للحمد، والمستحق لإفراده بالعبودية والتوحيد؛ لأنه خلق المخلوقات لعبادته، يقول –تعالى–: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٥٦]، أي: ليوحدوني ويفردوني بالعبادة.

وبدأ في هذه السورة بذكر خلق السموات الأرض؛ لأنهما أكبر مخلوقات الله –جل وعلا–، قال –تعالى–: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة غافر، الآية: ٥٧]، وهما آيتان دالتان على عظيم قدرة الله ﷻ وانفراده بالخلق والتدبير، فهو وحده ﷻ المستحق أن يوحد وأن يعبد، وأن يمتلأ قلب العبد له حبًّا وتعظيمًا وحمدًا يليق بجلاله ﷻ. ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[سورة الأنعام، الآية: ١٨]، فكما أنه قوي قهار –والقهر يحصل منه الخوف والرهبة– هو حكيم خبير؛ ليطمئننا ﷻ أن قهره وقوته وجبروته ينزل على من يستحق ذلك، وأنه بحكمته وخبرته ﷻ يعامل عباده بما يستحقونه.

وما ترك ﷻ شيئًا مما نحتاجه من الأمور الدنيوية أو الأخروية في معاشنا وفي معادنا إلا بينه، يقول –تعالى–: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [سورة الأنعام، جزء من الآية:٣٨]. يقول الإمام البيضاوي عند تفسيره لهذه الآية: "يعني اللوح المحفوظ؛ فإنه مشتمل على كل ما يجري في العالم من الجليل والدقيق، لم يهمَل فيه أمر حيوان ولا جماد، فإنه دُوّن فيه ما يحتاج إليه من أمر الدين مفصلًا أو مجملًا"(٣٦).

"بل ذكر الله ﷻ جميع أحوال خلقه من الجن والإنس والملائكة وغيرهم من كل ناطق وصامت، فصارت في غاية الضبط، حتى إن الحفظة يعرضون ما يحدث من عمل المكلفين وغيره آخر النهار على ما كان مثبتا في أم الكتاب فيجدونه كما هو، لا يزيد شيئًا ولا ينقص، فيزدادون إيمانًا، وأثبت في هذا القرآن مجامع الأمور، فهو تبيان لكل شيء، من الأحكام الأصلية والفرعية والدلالات على كل ذلك وأخبار الأولين والآخرين وكل علم يمكن أن يحتاجه المخلوق"(٣٧).

فالحمد له –سبحانه–، كلُّ شيء مكتوب عنده، فإذا استحضر المظلوم ذلك اطمأن لنصرة الله له، ولو بعد حين، وإذا استحضر العبد المؤمن الطائع لله ذلك علم أن ربه ﷻ لا يضيع أجر من أحسن عملًا، فما فرط ربنا في شيء، فحمدًا له بما هو أهله، بل هو –سبحانه– يعلم ما تخفي صدورنا، فهو عليمٌ بذاتها. يقول الإمام الخطابي: "هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركهما علم الخلق، كقوله –تعالى–: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [سورة الأنفال، جزء من الآية: ٤٣](٣٨). وهذه الآية تفصيلها في قوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[سورة الأنعام، الآية: ٥٩].

يقول الإمام السعديّ رحمه الله: "هذه الآية العظيمة من أعظم الآيات تفصيلًا لعلمه المحيط، وأنه شامل للغيوب كلها، التي يُطلع منها ما شاء من خلقه، وكثير منها طوى علمَه عن الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين، فضلًا عن غيرهم من العالمين، وأنه يعلم ما في البراري والقِفار، من الحيوانات والأشجار والرمال والحصى والتراب، وما في البحار من حيواناتها ومعادنها وصيدها، وغير ذلك مما تحتويه أرجاؤها، ويشتمل عليه ماؤها"(٣٩). وقد خص الله –سبحانه– نفسه بعلوم الغيب، كما في آية سورة الأنعام، وكما في قوله –تعالى–: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة النمل، الآية: ٦٥].

وفي القرآن حديث مفصل عن الغيبيات، كقوله –تعالى–: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[سورة لقمان، الآية: ٣٤].

وليس علمه محصورًا فقط في هذه الخمس، بل علمه ﷻ أعظم وأوسع من أن يحصر، قال الرازي: "هُوَ عَلِيمٌ مُطْلَقًا بِكُلِّ شَيْءٍ، وَلَيْسَ عِلْمُهُ عِلْمًا بِظَاهِرِ الْأَشْيَاءِ فَحَسْبُ، بَلْ خَبِيرٌ، عِلْمُهُ وَاصِلٌ إِلَى بَوَاطِنِ الْأَشْيَاءِ"(٤٠). ومن آثار الإيمان بهذا الاسم (عالم الغيب) لله ﷻ استحضار علمه التام الشامل، فلا يشابهه أحد من مخلوقاته في كمال علمه بالأشياء، صغيرها وكبيرها، ومن كمال علمه ﷻ أنه يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، أي أنه –سبحانه– يعلم الأمور الماضية التي وقعت، والأمور المستقبلية التي لم تقع بعد، ويعلم الأمور التي لن تقع لو فرض أنها تقع كيف تقع، وهذا من كمال علمه بالغيب وعواقب الأمور، وهو ﷻ لا يشغله علم عن علم، كما لا يشغله سمع عن سمع، فله الحمد كله.

فحين يستحضر المؤمن ذلك يطمئن، ويعلم –يقينًا– أن له ربًّا يعلم ما في السموات والأرض، ويعلم ما نسر وما نعلن(٤١). ويقول ﷻ: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾[سورة الأنعام، جزء من الآية: ٧٣]. جاء في لسان العرب: "المَلِكُ هُوَ الله –تعالى ونقدّس–، مَلِكُ المُلُوك، لَهُ المُلْكُ، وَهُوَ مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ، وَهُوَ مَلِيكُ الْخَلْقِ، أَيْ: رَبُّهُمْ وَمَالِكُهُمْ، ومالكُ يَوْمِ الدِّينِ: يَمْلِكُ إِقَامَةَ يَوْمَ الدِّينِ"(٤٢).

ومن عظيم نعمة الله علينا وفضله أن الملك له وحده في الدنيا والآخرة، له الملك المطلق، ملك السموات والأرض وما فيهما، ونحن بما نملك تحت ملكه ﷻ، ولا أحد يملك لنفسه النفع والضر، ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾[سورة سبأ، الآية: ٢٢].

وكل مَن مَلَكَ مُلكُه ناقصٌ محدود، فهو لا يملك لنفسه النفع أو الضر، ولا يملك لنفسه الصحة أو العقل، ولا يملك لنفسه رد القضاء أو رفعه، بل لا يملك لنفسه الهداية، ولا يملك حتى الأنبياء ذلك، ولا الملائكة المقربون، لكنّ الله ﷻ ملكُه حقيقي مطلق في الدنيا والآخرة، فهو في الدنيا مالك كل شيء، له الملك، وإن ملك غيره فملكه بيد الله، هو مَن ملَّكه إياه، يسترده منه متى أراد، وفي الآخرة له الملك وحده، قال -تعالى-: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [سورة الفاتحة، الآية: ٤].

قال رسول الله ﷺ: "يقبض الله -تبارك وتعالى- الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟"(٤٣).

فالله ﷻ يُحمد على أنه مَلِك السموات والأرض، ومَلِك يوم الدين ومالكه، والإيمان بذلك يجعل العبد -مهما ملك من الملك في الدنيا- يدرك أن ملكه زائل، وأنه وما يملك في قبضة الله -جل وعلا-، وأن الله هو الذي ملَّكه، وهو قادر ﷻ على أن يذهبه عنه، وأنه ﷻ يتصرف في ملكه كيف يشاء، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير. قال أبو الدرداء ﷺ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [سورة الرحمن، جزء من الآية:٢٩]: "يغفر ذنبًا، ويكشف كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين"(٤٤).

وعلى العبد ألا يطغى مهما بلغ ملكه في الدنيا، فها هو فرعون تكبر، وطغى، وظن بملكه أنه قادر على كل شيء، حتى ادعى الألوهية، فأغرقه الله. وها هو قارون لما ملَّكه الله أموالًا عظيمة قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [سورة القصص، جزء من الآية:٧٨]، فعاقبه الله بالخسف. وفي إهلاكهما عبرة لكل ظالم متكبر من ملوك الأرض، تَفَرْعَنَ على الناس بما آتاه الله من ملك، وظن أنه مخلَّد، ونسي أن ملكه إلى زوال، ونسي أنه سيقدم على الله الملك، الذي سيسأله عما في يده مما ملكه إياه، ويوم القيامة لن تزول قدمٌ حتى تسأل عن أربع. عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ"(٤٥).

فإذا عرف العبد هذه الحقيقة وأن الملك المطلق إنما هو لله -تعالى- لزِم الطاعة المطلقة لله وحده، وقدم طاعته ﷻ على طاعة من سواه، وحكمَه ﷻ على حكم من سواه(٤٦).

وعن قوله –سبحانه–: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾[سورة الأنعام، جزء من الآية:٧٣] يقول الإمام السعديّ رحمه الله: "أي يوم القيامة، خصه بالذكر –مع أنه مالك كل شيء– لأنه تنقطع فيه الأملاك، فلا يبقى مُلك إلا لله الواحد القهار"(٤٧).

وممّا يُوجب الحمد والثناء لله أنه وحده عالم الغيب والشهادة، قال –تعالى–: ﴿.. عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الأنعام، جزء من الآية: ٧٣]. والغيب هو الاختفاء استتارا، والغائب هو غير المعاين، وكل غيب في القرآن فهو إما من هذا وإما من الأمور الغائبة في السموات أو الأرض، من موجودات أو أحداث أو أنباء، إلى كل غيب ذكره القرآن(٤٨). والشهادة الحضور، ثم صرفت الكلمة في أداء ما تقرر علمه في النفس بأي وجه تقرر، حضورًا أو معاينة(٤٩). ويقول الإمام الرازي رحمه الله: "(عالم الغيبِ) يعلم ما في الأرواح، و(الشهادةِ) يعلم ما في الأجسام، أو (عالم الغيبِ) إشارة إلى ما لم يكن بعدُ، و(الشهادةِ) إشارة إلى ما وجد"(٥٠).

والغيب والشهادة هما بالنسبة للإنسان وحده، أي ما غاب عنه وما شهده. وقوله –تعالى–: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾[سورة الأنعام، الآية: ٥٩].

فمن ادعى الغيب فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة النمل، الآية: ٦٥]، ومن أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه فيما يقول فقد برئت منه ذمة رسول الله ﷺ، وقِسْ على ذلك قراءة الفنجان وضرب الودع وغيرهما؛ لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، ولو علمه أحد من البشر لعلمه رسول الله ﷺ، وقد قال الله –سبحانه– للرسول ﷺ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[سورة الأحقاف، الآية: ٩]، ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[سورة الأعراف، الآية: ١٨٨]، ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة النمل، الآية: ٦٥]، وقال–تعالى–: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[سورة لقمان، الآية: ٣٤].

وقد ذُكِر أن مالكًا رحمه الله رأى ملك الموت في المنام، فقال له: "متى تقبض

روحي؟"، فأشار له ملك الموت بخمسة أصابع، فقام من نومه، وسأل عالم التفسير ابن سيرين رحمه الله، فقال له: "إن هي إلا خمسة لا يعلمها إلا الله يا عالم المدينة"، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[سورة لقمان، الآية: ٣٤].

لكن هناك أناسًا من المسلمين حياتهم كلها مبنية على المنجمين والعرافين والسحر والشعوذة؛ لاعتقادهم أنهم يعلمون الغيب أو جزءًا منه(٥١).

وقوله –تعالى–: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[سورة الأنعام، الآية: ٧٣]. يقول الإمام الحليمي رحمه الله–مفسرًا معنى الحكيم–: "ومعناه: الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب، وإنما وُصِف بذلك؛ لأن أفعاله سديدة، وصنعه متقن، ولا يظهر الفعل المتقن السديد إلا من حكيم، كما لا يظهر الفعل على وجه الاختيار إلا من حي عالم قدير"(٥٢). وقال الألوسي رحمه الله: "(وهو الحكيم) أي: ذو الحكمة البالغة، وهي العلم بالأشياء على ما هي عليه، والإتيان بالأفعال على ما ينبغي، أو المبالغ في الإحكام، وهو إتقان التدبير وإحسان التقدير، (الخبير) أي: العالِم بما دق من أحوال العباد وخفي من أمورهم"(٥٣).

فالله ﷻ حكيم في كل شيء، وخبير بما يحكم، فهو حكيم في خلقه، وحكيم في فعله، وحكيم في أمره، وحكيم في شرعه، وحكيم في كتابه، وحكيم فيما يقدره لنا ﷻ، لذلك وجب علينا أن نطمئن لما هو آت منه، ونحمده عليه، ولا نفزع، بل نتقبل أمره وقدره بكل رضا واطمئنان؛ يقينًا بحكمته ﷻ المبنية على رحمته ﷻ.

ولو تفكرنا في مخلوقات الله ﷻ لوجدنا بديع صنعه وآثار حكمته، ويكفي أن ننظر في أنفسنا، ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات، الآية:٢١]، فإذا علمنا أن الله حكيم في كل ما يفعله ويقوله أدركنا أننا لم نُخلق عبثًا أو سدًى، وأن الله ﷻ خلقنا لحكمة بالغة، وهي أن نعبده، ونوحده بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وننطرح بين يديه مفتقرين إليه خاضعين لأمره –سبحانه–، فما خلقنا لهوًا ولا باطلًا. وقوله –جل وعلا– : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٠١].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "(بديع السموات والأرض) أي: مبدعهما وخالقهما ومُنشِئُهما ومحدثهما على غير مثال سبق"(٥٤). سبحانه، هو الخالق

المبدع، الذي خلق السموات والأرض وما فيهما من المخلوقات العظيمة والدقيقة، من كواكب وجمادات وحيوانات وبشر وطيور ونباتات، وخلق الظلمات والنور وغيرها من الأشياء التي تلهج بالتسبيح والاعتراف والتعظيم لهذا المبدع الحكيم ﷻ، بديع السموات والأرض.

وما يزال العلم الحديث يكتشف كل يوم جوانب من العظمة والإبداع في مخلوقات الله ﷻ، وما تزال الكثير من الحقائق غامضةً في وجه العلم، لم تبلغه معرفة حقيقتها وعظيم قدرة الله فيها، ونحن نرى من عجائب صنع البديع ﷻ قدرة البشر على النطق والفهم، ولو أن إنسانًا تفكر: كيف يخرج الصوت، وكيف يختلف من شخص إلى آخر، وكيف نشأت اللغات وتعددت الألسن بآلاف اللغات؟ لتملكته الدهشة والعجب. وما نرى من بديع الله في مخلوقاته لا يسعنا الحديث هنا عنه، إلا بالإتيان بالمثال عن بديع خلق الله –سبحانه–، فلو أراد الإنسان أن يصف لنا النور الذي يكشف الأشياء ويظهرها ويجليها –وليس بمقدور أحد أن يمسك بيده النور–، ثم أراد أن يصف لنا النار، ويفرق بينها وبين النور، وكيف أن النار لها إحراق وتوهج وضراوة، بخلاف النور الذي هو أقرب إلى الإضاءة والكشف، لكان الأمر محيرًا.

ولو أراد الإنسان أن يصف لنا الهواء الذي نستنشقه، ومدى أثره في حياة النبات والحيوان –بل الكون كله–، ومع هذا لا تراه العين، ولا تمسكه اليد لكانت الدهشة أشد، لكن الإنسان اعتاد على هذه الأشياء، فأصبحت مألوفة لديه، وأخفت عن ناظريه بديع خلق المبدع الحكيم. فاسمه (المبدع) وصفته (الإبداع) نعمة علينا، يستحق ﷻ أن يُحمد عليها، فلنحمده أنه بديع السموات والأرض.

فإذا استشعرنا هذه النعمة العظيمة لهجت ألسنتنا وقلوبنا بالتسبيح والحمد له على هذه النعمة العظيمة، فقد أبدع ما وهبه لنا في هذه الحياة، فلنتعلم أن نتقن عملنا ونبدع فيه، يقول ﷺ: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه"(٥٥).

ولكن لا بد أن يكون إبداعنا في ضمن دائرة المباح التي جعل الله –تعالى– آفاقها مفتوحة لعباده، بشرط أن يكونوا مطيعين له، وأن لا يخرجوا عن أمره(٥٦).

وقال الإمام القنوجي رحمه الله: "(بديع السموات والأرض)، أي: مبتدعهما، وقد جاء البديع بمعنى المبدع... وقيل: الأصل بديع سمواته وأرضه، والإبداع عبارة عن تكوين الشيء على غير مثال سابق، والاستفهام في (أنى يكون له ولد) للإنكار والاستبعاد، أي: مَن كان هذا وصفه –وهو أنه خالقهما ومبدع ما فيهما– فكيف يكون

له ولد –وهو من جملة مخلوقاته–؟ وكيف يتخذ ما يخلقه ولدًا؟ ثم بالغ في نفي الولد (ولم تكن له صاحبة)، أي: والحال أنه لم تكن له صاحبة، والصاحبة إذا لم توجد استحال وجود الولد (وخلق كل شيء) جملة مقررة لما قبلها؛ لأن من كان خالقًا لكل شيء استحال أن يتخذ بعض مخلوقاته ولدًا، وهذه الآية حجة قاطعة على فساد قول النصارى، (وهو بكل شيء عليم) لا يخفى عليه من مخلوقاته خافية"(٥٧).

فرب العالمين هو مبدع السموات والأرض، وهو وحده خَلَقَهُما وخلق ما فيهما، فكيف يكون له ولد؟ وما دام وحده هو المنشئ لهما وما فيهما دون مثال سابق فباطل أن يكون له ولد، فالذين ادعوا أن عيسى ابن الله كذبوا في ادعائهم؛ لأن عيسى عليه السلام هو خلق من خلق الله ﷻ ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾ [سورة الأنعام، جزء من الآية: ١٠١].

ليست له زوجة، فكيف يأتي الولد؟! وما من شيء إلا والله ﷻ خالقه وحده، لا شريك له ولا منازع ﴿.. وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة الأنعام، جزء من الآية: ١٠١]، أي: خالقه وعالم به ﷻ، ومن كان هذا صفته كان غنيًّا عن كل شيء، لا يحتاج إلى أحد، والكل فقير إليه، فله الحمد –سبحانه– بما هو أهله. يقول ﷻ: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ [سورة الأنعام، جزء من الآية: ١٠١].

لا بد للمؤمن أن يتأمل ويتفكر في حاله وحال الكون من حوله؛ ليستشعر نعم الله عليه، وليعلم ما حبانا الله من النعم –التي لا تعد ولا تحصى– لو بقينا ساجدين لله –تعالى– شكرًا ما أَدَّيْنا حق هذه النعم. فإنك لو تأملت العالم لوجدته كالبيت المهيأ فيه جميع آلاته ومصالحه وكل ما يحتاج الإنسان إليه، فالسماء سقفه المرفوع عليه، والأرض هي البساط والمهاد والفراش له، وهي مستقر لساكنها، والشمس والقمر سراجان ينيران فيه، ويعطيان الدفء نهارا والبرودة ليلًا، بما يجمعان في الفصول الأربعة، والنجوم مصابيح وزينة تزين سقف البيت، وأدلة للمتنقل في هذه الدار.

والمعادن والجواهر مخزونة فيه كالذخائر المعدة لما يصلح له، وتحيط به الأشجار والثمار، وتجري عنده الأنهار، وكل صنوف النبات والحيوان مهيأة للإنسان، ومصروفة لمصالحه، فمن الحيوان الركوب، ومنها الحلوب، ومنها يأخذ الغذاء واللباس والمتاع، ومنها الحرس يحرس الإنسان في الخطر، فكل هذه المخدومات تخدم الإنسان، وهو مَلِك في هذا المكان، سُخِّرت بين يديه، وجعلت لأجله، يفعل بها ما يشاء.

فهذا من أعظم الدلالات على أن هذا الكون مخلوق لخالق عظيم قدير عليم، خلق الكون كله، وأبدع خلقه، وأنه يستحيل لمثل هذا الخلق العظيم والتناسق البديع أن يكون لله مشاركٌ في خلقه، سبحانه، ليس كمثله شيء، ﷻ، هو الخلاق العظيم، خلق كل شيء من المخلوقات وسخرها للإنسان؛ ليحقق عبادته وتوحيده ﷻ"(٥٨). وهو مع ذلك غني عنّا، وغني عن عبادتنا وطاعاتنا، وهو -سبحانه- صاحب الرحمة الواسعة، يقول-سبحانه-:﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٣٣].

الغني -لغة-: ذو الوفر، وهو ضد الفقر، ووجود الكفاية التي تعمر الحيز وتقيم أمره(٥٩). قال الحليمي رحمه الله: "الغني ومعناه الكامل بما له وما عنده، فلا يحتاج معه إلى غيره، وربنا -جل ثناؤه- بهذه الصفة؛ لأن الحاجة نقص، والمحتاج عاجز عما يحتاج إليه إلى أن يبلغه ويدركه، والمحتاج إليه فضل، فوجد ما ليس عند المحتاج، والنقص منفي عن القديم بكل حال، والعجز غير جائز عليه، ولا يمكن أحد عليه فضل؛ إذ كل شيء سواه خَلْقٌ له، وبَدْعٌ أبدعه، ولا يملك من أمره شيئا، وإنما يكون كما يريده الله ﷻ ويدبره، فلا يُتوهم أن يكون له مع هذا اتساعٌ؛ لفضله عليه"(٦٠). وذكر الإمام الخطابي رحمه الله في كتابه -أن الغني هو الذي استغنى عن الخلق وعن نصرتهم وتأييدهم لملكه، فليست به حاجة إليهم، وهم إليه فقراء محتاجون، كما وصف نفسه -تعالى-، فقال -عز مِن قائل-: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾[سورة محمد، جزء من الآية: ٣٨](٦١).

فالله هو الغني بذاته، الذي له الغنى المطلق من كل الوجوه وجميع الاعتبارات، وذلك لكمال صفاته ﷻ، فكما أنه خالق قادر رازق محسن، فكذا لا يحتاج إلى أحد بوجه من الوجوه؛ لأنه الغني، بيده خزائن السموات والأرض وخزائن الدنيا والآخرة، المغني لجميع خلقه غنًى عامًّا، والمغني لخواص خلقه بما أفضى على قلوبهم من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية... غني ﷻ عن المعرضين، وكل مخلوق غيره مفتقر إليه فقرًا اضطراريًّا لا دافع له، وفقرًا اختياريًا مبنيًّا على معرفة النفس والعلم بالرب -تعالى-، والعبد فقير بذاته يحتاج إلى ربه، والرب ﷻ غني بذاته، لا حاجة له إلى أحد أصلًا، ولا إلى شيء من خلقه، ولذا وصف عباده بالفقراء إليه، فقال-سبحانه-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [سورة فاطر، الآية: ١٥].

فإن بان للعبد ذلك لم يتوجه في طلب حاجته إلا لربه الغني، فلا يسأل إلا الله، ولا يرجو إلا إياه، ويستشعر الفقر بين يديه -سبحانه-، فمهما بلغ الإنسان من الغنى فإنه فقير ذليل محتاج إلى خالقه الذي أغناه من فضله. وحقيقة غنى العبد افتقاره إلى الله والذل بين يديه(٦٢)، فقد قال الله-عز وجل- في الحديث القدسي: "يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تَظَالموا، يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي، كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أَكْسُكُم، يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي، إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه"(٦٣).

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ..﴾[سورة الأنعام، جزء من الآية: ١٣٣]. فالله ﷻ يعطي، ويصلنا عطاؤه، وعنده خزائن السموات والأرض، ورحمته وسعت كل شيء، فلنطلب العطاء من الله الغني ذي الرحمة.

آثار العلم والعمل بهذه النعمة

١- استشعار ذاته العلية التي تتجلى بصفاته الجميلة التي تستحق الحمد في الأولى والآخرة.

٢- حمده ﷻ في كل الأحوال وفي كل الأوقات.

٣- حمده ﷻ على الطريقة التي أوجبها الله ورضيها لنا، حيث إنه -سبحانه- أعلمنا كيف نحمده.

٤- ازدياد يقين المؤمن بنصر الله له، فهو -سبحانه- لا تضيع عنده الحقوق، وكل شيء عنده مكتوب، ولا يضيع عنده أجرُ من أحسن عملًا.

٥- يقين العبد أن ما يملكه إلى زوال، وأن المالك الحقيقي له هو الله، فلا يفزع على فوات خير، ولا يجزع على فقده.

٦- استشعار المؤمن فقره وحاجته إلى ربه، فلا يطلب شيئًا إلا منه -سبحانه-.

٧- معرفة العبد أن الملك والحكم كله لله، وهذا يستلزم منه الطاعة والانقياد لله.

المطلب الثاني: التربية بالحمد بكفه الأذى عن عباده المؤمنين

لقد افتتح الله ﷻ كلامه بالحمد، ثم عدد النعم إلى قوله -تعالى-: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[سورة الأنعام، الآية: ٤٥].

وهنا منة من الله -تعالى-على عباده المؤمنين، بأن قطع دابر القوم الذين ظلموا، بعد أن استمهلهم أول الأمر، فكان ذلك مثلما يتعامل الأب مع ابنه -ولله المثل الأعلى- يلاطفه تارة، ويشاده تارة، راجيًا صلاحه، فلما لم ينفع معهم إرسال الرسل، ولم تُجْدِ معهم السراء، عاد إلى أخذهم بالضراء؛ لعلهم يعودون عن غيهم، ويتضرعون إلى ربهم، فما كان منهم إلا أنهم قابلوا ذلك بالجحود والنسيان، فأمهلهم الله، كما جاء في قوله -تعالى-: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٨٣]، وذلك بأن فتح لهم في الدنيا أنواع النعم التي يتمناها كل إنسان، ثم بعد ذلك أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، فقطع دابرهم، وأهلكهم جميعًا، يقول الله جل في علاه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآيات: ٤٢-٤٥]، فختم ذلك بقوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[سورة الأنعام، الآية: ٤٥]، فحمد نفسه ﷻ على قطع دابرهم، وأنه يمهل ولا يُهمل، وإذا أخذ كان أخذه شديدًا أخذ عزيز مقتدر"(٦٤).

فمن أعظم نعمه على عباده المؤمنين أن رد الشر وأهله عنهم، وكفى الله المؤمنين ظلمهم؛ لتتحقق العدالة التي بها يعم السلام والأمن والاستقرار، والتي جعلها الله من أكبر النعم على عباده المؤمنين. ففي قطع دابر الظالمين نجاة للمؤمنين من فساد وإفساد هؤلاء في الأرض، وبيان أن الظلم عواقبه وخيمة، فهو يدمر صاحبه، ويدمر من حوله. وإذا وقع الظلم في أرض أهلك كل من فيها وأفسده، وحصل الخوف والاضطراب في المجتمع، لذلك كانت نعمة الله على عباده عظيمة، يُحمد عليها -سبحانه-.

ويقول وهبة الزحيلي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "استؤصل جميع القوم

الظلمة الكفرة حتى آخرهم، فلم يَبْقَ منهم أحد، والحمد لله على إهلاكهم؛ لأن في ذلك تخليصًا للبشر من مفاسدهم، وهذا تنبيه للعباد على حمده -تعالى- على نصر المصلحين وإهلاك المفسدين"(٦٥).

وفي هذا تربية لنا أن نتحرى العدل ونطلبه، ونبتعد عن الظلم وأهله، ونجتنبه، فكما أن الله -جل وعلا- حرّم الظلم على نفسه، فقد جعله بيننا محرّمًا، فحرّم الله ﷻ أن يظلم العبد نفسه، أو أن يظلم العبد أخاه المسلم؛ لأن الظلم ظلمات في الدنيا والآخرة. "وكل ذلك يلفتنا إلى أنه يجب علينا أن نحمد الله؛ لأنه يربي الخلق بالنقمة والنعمة، ويطهر الكون من المفسدين، وقطعُ دابر المفسدين مصيبة لهؤلاء المفسدين، ونعمة من نعم الله على المؤمنين... ونعلم أن التهويل في أمر العذاب يجعل الناس ترتدع، وهذا الوعيد نعمة من الله"(٦٦). "وفيه تعليم للمؤمنين كيف يحمدونه ﷻ عند نزول النعم التي من أَجَلِّها هلاكُ الظلمة الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، فإنهم أشد على عباد الله من كل شديد"(٦٧). "فالله محمود على قطع دابر الظالمين، ومحمود على جلب النعم وعلى دفع النقم، والظالم إذا أهلكه الله فإن ذلك من تمام عدله ورحمته؛ لأنه يكون نكالًا لما بين يديه وما خلفه"(٦٨).

وقطع دابر الظالمين واستئصالهم عن بكرة أبيهم نعمة من النعم العظيمة التي امتن الله على عباده المؤمنين، والله سبحانه يربينا بنعمه، ويبين لنا -سبحانه- أن سنته في تدمير الباطل أن يقوم في الأرض قائم بالحق، فيقذف الله الحق على الباطل، فيدمغه، فإذا هو زاهق، فلا يقعدن أهل الحق كسالى، يرتقبون أن تجري سنة الله ونعمه بلا عمل منهم وكد، فإنهم حينئذ لا يمكنون الحق، ولا يكونون أهله، فواجب عليهم أن يستشعروا تربية الله للأمم السابقة ولهم في ولايته للصالحين ولأهل الحق، وإهلاكه أهل الباطل المبطلين... والله يتولى المؤمنين الصادقين الذين ينصرون دينه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[سورة محمد، الآية: ٧](٦٩).

يقول الإمام النسفي رحمه الله: "أي أهلكوا عن آخرهم، ولم يُترك منهم أحد، (والحمد لله رب العالمين) إيذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة، وأنه من أجل النعم وأجزل القسم، أو هو بمعنى: احمدوا الله على إهلاك من لم يحمد الله"(٧٠).

ومن رحمة الله ونعمه العظيمة على عباده المؤمنين أنه يسليهم ويرفع روحهم المعنوية، إذ يخاطب رسولنا الكريم محمدًا ﷺ بقوله: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٣٣].

وهي تسلية للنبي ﷺ وتقوية لروحه المعنوية؛ فإن في هذه الآية من تسليته وتقوية روحه المعنوية ما هو ظاهر، فإذا ذكر الله ﷻ لنبيه ﷺ ما يسليه ويقوي معنوياته ويرفع عنه الحزن، فإن هذا من فضل الله عليه –تبارك وتعالى–، حيث دفع أذى الكافرين عنه، وأحاطه برعايته وولايته، وهكذا ينبغي للإنسان أن يسلي أخاه بما يقع لمثله؛ حتى يُهوِّن عليه الأمر؛ لأن الإنسان بطبيعته إذا وجد المشارك هان عليه الأمر"(٧١). ومن تسليته لرسولنا الكريم محمد ﷺ قوله –جلّ في علاه–: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[سورة الأنعام، الآية: ١٠].

يسلي الله–سبحانه وتعالى– رسوله محمدًا ﷺ، ويكف عنه الأذى النفسي، فيقول–تعالى– له: لقد استهزئ برسل من قبلك يا محمد، وسخر منهم الكفار، فلا تبتئس إن قال لك قومك ساخرين: "أهذا الذي بعث الله رسولًا"، فقوم نوح كذلك سخروا منه وهو يصنع السفينة، وقالوا له: "لقد صرت نجارًا، بعد أن كنت نبيًّا"، وهذه سنة الكفار، ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون، ولكن الله يكف الأذى عن الأنبياء والأولياء، وينصر رسله والذين آمنوا(٧٢). قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٣٤].

يسلي ربنا ﷻ رسوله الكريم، ويخرجه من الأذى النفسي، ويعده النصر والتأييد، فيقول–سبحانه– له: إذا كان الرسل الذين سبقوك قد كُذِّبوا وصبروا على ذلك –وهم رسل لقومهم ولأمة خاصة ولزمان خاص– فماذا عنك يا خاتم الرسل؟ وأنت للناس كافة وللأزمان عامة، إن عليك أن تتحمل هذا؛ لأن الله ﷻ قد اختارك لهذه المهمة، وهو العليم أنك أهل لها، وهو كفيل أن ينصرك عليهم؛ لأنه هو الذي أرسلك فلا بد أنه سينصرك.

وقد قص الله ﷻ على رسوله قصص المرسلين، ولم يكتف بذكر تكذيب الأمم لرسلهم، ولكنه –سبحانه– أورد للرسول كثيرًا مما حدث لكل رسول من ثبات أمام الأعداء، ثم بين أن كلمة الحق قد انتصرت دائمًا(٧٣). وقوله –تعالى–: ﴿.. وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الأنعام، جزء من الآية: ٣٤]، ما جاءك من تجرؤ قومهم عليهم في الابتداء وتكذيبهم لهم، ثم نصرهم عليهم في الانتهاء، وستكون عاقبة المكذبين لك كعاقبة المكذبين للرسل، فإنهم يرجعون إليك ويدخلون في الدين الذي

تدعوهم إليه طوعًا أو كرهًا"(٧٤).

ويواسي الله ﷻ رسوله محمدًا ﷺ، ويرفع عنه الأذى النفسي بتذكيره بالرسل من قبله، حتى إنه يريه في المنام أن من الأنبياء من لا يتبعه إلا رجلان أو رجل واحد، ومن الأنبياء من لا يتبعه أحد.

فنوح عليه الصلاة والسلام بقي في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، يذكرهم بآيات الله، ويجهر لهم بالدعوة ويسر بها، ولكن لم يزدهم ذلك إلا نفورًا وكفورًا، وهو صابر على أذيتهم وسخريتهم، وكانوا إذا مروا به وهو يصنع السفينة سخروا منه، ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [سورة هود، الآية: ٣٨] لكن حال الأنبياء الصبر، ﴿.. فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟..﴾ [سورة الأنعام، جزء من الآية: ٣٤] أوذوا بالقول والفعل، حتى أن بعضهم قتل.

وها هو موسى عليه السلام أوذي من قومه أذًى شديدًا، وقد سخروا منه خَلقًا وخُلقًا، بل قال اليهود لموسى عليه السلام: "إنه رجل آدر"، أي: كبير الخصيتين، وهذا عيب عند الناس، وكان موسى لا يبدي عورته لهم، فلما كان ذات يوم خلع ثوبه ليغتسل، ووضعه على الحجر، فهرب الحجر بثوبه، فجعل موسى عليه السلام يسعى وراءه، ويقول: "ثوبي، حجر"، لكن الحجر لم يقف إلا في الملأ من بني إسرائيل، حتى شاهدوا أن موسى بريء مما قيل فيه، وأظهر الله ﷻ كذبهم علنًا، وكف أذى هؤلاء القوم عن سيدنا موسى عليه السلام(٧٥).

﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [سورة الأنعام، جزء من الآية: ٣٤]، (حتى) هذه للغاية، يعني فكان الغاية أن الله -تبارك وتعالى- نصره؛ لأن الله كتب على نفسه أن ينصر رسله، فقال ﷻ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة المجادلة، الآية: ٢١]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [سورة غافر، الآية: ٥١](٧٦).

﴿.. وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الأنعام، جزء من الآية: ٣٤]، أي: من قصصهم وأخبارهم، كما قال -تعالى-: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة هود، الآية: ١٢٠]. وعلى هذا يكون للآية معنيان: الأول: أنه قد جاءك من أنباء الوحي الذي أتى الرسل من قبلك، والثاني: أنه قد جاءتك أخبارهم، وتبين لك ما حصل للرسل من أتباعهم وما

حصل لأتباعهم(٧٧).

وكل هذا رفع لمعنوياته ﷺ وكف الأذى النفسي عنه وتسليته؛ لأن الانسان لو علم أنه قد أصابه ما أصاب غيره هان عليه الأمر، ولذلك نجد آثار لطف الله ﷻ بأوليائه وتسليته لهم ووعده إياهم بما يعينهم على الصبر وتحمل الأذى، كما أنه يكف أذى الأعداء عنهم، ويجب علينا أن نتأسى ونتسلى أيضًا بما جرى للرسل عليهم الصلاة والسلام، فنصبر على أذى من يقف بوجه دعوتنا؛ لعلمنا أن فرج الله ﷻ يأتي مع شدة الكرب، فكلما اشتد الكرب دنا الفرج(٧٨).

وها هو أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وردت فيه الكثير من الآيات، كيف أقام في قومه يدعوهم لله، وواجهوه بالتكذيب والايذاء، حتى أقرب الناس إليه، أبوه –وقيل عمه–، حتى وصل بهم الإيذاء أن أشعلوا نارًا عظيمة؛ ليحرقوا بها سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد ذكروا أن المرأة كانت إذا مرضت نذرت، إن شُفِيَتْ لَتَجْمَعَنَّ حطبًا؛ لتحرق إبراهيم، وقاموا بجمع حطب عظيم، حتى قيل: "إنهم أشعلوا نارًا عظيمة، لم يستطيعوا الاقتراب منها لإلقاء إبراهيم عليه السلام فيها؛ من شدة حرها، فوضعوه على آلة المنجنيق ورموه رميًا"، ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾[سورة إبراهيم، الآية ٤٦]، ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٧٠]، فلما ألقوه قال إبراهيم عليه السلام: "حسبي الله ونعم الوكيل".

ولكن مكر الله أعظم، ووعده بنصره رسله لا يتخلف، فجاء النصر من القوي العزيز الذي ﴿أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [سورة يس، الآية: ٨٢]، قال الله –تبارك وتعالى–: ﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾، [سورة الأنبياء، الآية: ٦٩] فكانت كما قال الله –جل وعلا–، ونصر الله نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام"(٧٩).
وبهذا يتبين أن من أسباب معية الله لعباده وكف أذى الأعداء عنهم التحليَ بالصبر مما يكابدونه من عداوة الكفار وأذيتهم؛ فإن الله ﷻ كما أيد محمدًا ﷺ بالآيات، وكف أذى الكفار عنه، فهو ﷻ ولي كل مؤمن، ولكن على المؤمنين الاقتداء والصبر.

وقوله –جل شأنه–: ﴿.. وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٥٥] "(وكذلك نفصل الآيات) أي: نوضحها، ونبينها، ونميز طريق الهدى من الضلال، والغي والرشاد؛ ليهتدي بذلك المهتدون، ويتبين الحق الذي ينبغي سلوكه. (ولتستبين سبيل المجرمين) الموصلة إلى سخط الله وعذابه؛ فإن سبيل

المجرمين إذا استبانت واتضحت أمكن اجتنابها والبعد منها، بخلاف ما لو كانت مشتبهة ملتبسة"(٨٠). وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله: "سبيل المجرمين طريقهم وسيرتهم من الظلم والكبر والحسد واحتقار الناس والتصلب في الكفر، والمجرمون هم المشركون، وُضِع الظاهر موضع المضمر؛ للتنصيص على أنهم المراد، ولإجراء وصف الإجرام عليهم، وخص المجرمين؛ لأن المقصود من هذه الآيات كلها إيضاح خَفِيِّ أحوالهم للنبي ﷺ والمسلمين"(٨١). "(ولتستبين سبيل المجرمين)، أي: لتوضح وتظهر طريقهم، فينكشف أمرهم وتستبين سبلهم"(٨٢). وإذا انكشف أمرهم للمؤمنين فهذا من فضل الله ونعمه عليهم أن كفاهم، وكفّ عنهم أذى أعداءهم.

وقوله –تعالى–: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [سورة الأنعام، جزء من الآية: ٦١]. حفظ الله عباده من أنواع الأذى، سواء كان الأذى الدنيوي أو المعاصي. وعن قتادة في قوله –تعالى–: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٦١] قال: "حفظةٌ، يا ابن آدم، يحفظون عليك عملك ورزقك وأجلك، إذا توفَّيت ذلك قبضت إلى ربك"(٨٣)

يقول الإمام الشنقيطي رحمه الله عن قوله –تعالى–: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾: "لم يُبَيِّن هنا ماذا يحفظون، وبينه في مواضع أخر، فذكر أن مما يحفظونه بدن الإنسان، بقوله: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾، [سورة الرعد، جزء من الآية: ١١]، وذكر أن مما يحفظونه جميع أعماله من خير وشر، بقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الانفطار، الآيات: ١٠-١٢]، وقوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق، الآيتان: ١٧، ١٨]، وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٨٠]"(٨٤). وقال الإمام السعدي رحمه الله: "هم حفظة من الملائكة، يحفظون العبد، ويحفظون عليه ما عمل"(٨٥). وقال الإمام ابن كثير في تفسيره: "(ويرسل عليكم حفظة) أي: من الملائكة، يحفظون بدن الإنسان، كما قال –تعالى–﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾، [سورة الرعد، جزء من الآية: ١١]، وحفظةٌ يحفظون عمله ويحصونه عليه، كما قال –تعالى–: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الانفطار، الآيات: ١٠- ١٢]، وقال– سبحانه–: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق، الآيتان: ١٧، ١٨]"(٨٦).

ويتبين من كلام العلماء أن الحفظة من الملائكة هم الحفظة لبدن العبد ولأعماله معًا، أي أن الله ﷻ وكَّل بالعباد من الملائكة من تحفظ العبد وتدفع عنه الأذى، وهذه نعمة عظيمة، وفضل على عباده، أن جعل من الملائكة العظام من تحفظ العبد في حله وترحاله، وفي صحوته ومنامه. روى الإمام الطبري رحمه الله عن ابن عباس ﷺ: "(يحفظونه من أمر الله) قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قَدَرُه خَلَّوا عنه"(٨٧). وروى عن الإمام مجاهد رحمه الله، قال: "ما من عبدٍ إلا له ملك موكَّل، يحفظه في نومه ويقظته من الجنّ والإنس والهوامّ، فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال: (وراءَك!)، إلا شيئًا يأذن الله فيه فيصيبه"(٨٨). وروى عن كعب الأحبار ﷺ، قال: "لولا أن الله وكَّل بكم ملائكة يذبُّون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم إذًا لتُخُطِّفتم"(٨٩). وقال الإمام البيضاوي رحمه الله: "(يحفظونه من أمر الله) يحفظونه من أمر الله من بأسه متى أذنب، بالاستمهال أو الاستغفار له، أو يحفظونه من المضار، أو يراقبون أحواله من أجل أمر الله –تعالى–"(٩٠). ومن أروع ما قيل في حفظ الملائكة للعبد قولُ ابن قيم الجوزية: "يعقب بعضهم بعضًا، كلما ذهب بدل جاء بدل آخر، يثبتونه، ويأمرونه بالخير، ويحضونه عليه، ويعدونه بكرامة الله، ويثبتونه، ويقولون: (إنما هو صبر ساعة، وقد استرحت راحة الأبد)"(٩١).

وقول الله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ من جميل ما نراه في دفاع الله ﷻ عن نبيه محمد ﷺ أنه ما من كلمة يقولها الكفار والمشركين فيه، إلا والله ﷻ يدافع عنه ﷺ، ويقوي حجته، ويواسيه. يقول الإمام الشنقيطي رحمه الله: "يعني: ليزعموا أن النبي ﷺ إنما تعلم هذا القرآن بالدرس والتعليم من غيره من أهل الكتاب، كما زعم كفار مكة أنه ﷺ تعلم هذا القرآن من جبر ويسار، وكانا غلامين نصرانيين بمكة، وقد أوضح الله –تعالى– بطلان افترائهم هذا في آيات كثيرة، كقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة النحل، الآية: ١٠٣]، وقوله: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [سورة المدثر، الآيتان: ٢٤، ٢٥] ومعنى يؤثر: يرويه محمد ﷺ عن غيره –في زعمهم الباطل–، وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة الفرقان، الآيات: ٤-٦] إلى غير ذلك من

الآيات... فالأشقياء يقولون: تعلمته من البشر بالدراسة، وأهل العلم والسعداء يعلمون أنه الحق الذي لا شك فيه"(٩٢).

آثار العلم والعمل بهذه النعمة:

١- نصرة الله -تعالى- عباده المؤمنين بقطع دابر الظالمين.

٢- أنه -سبحانه- يحمد على أنه قطع دابر هؤلاء الظالمين، ودفع عن المؤمنين أذيتهم، وهذه من النعم العظيمة.

٣- أن من لم يشكر نعم الله التي أكرمه بها، ولم يحمده عليها، فقد استحق الهلاك.

٤- على المؤمن أن يتحرى العدل ويطلبه، ويبتعد عن الظلم وأهله.

٥- أن من أسباب معية الله لعبده وكفّ أذى الأعداء عنه التحلّي بالصبر.

٦- بالاقتداء والصبر ينال العبد معية الله له ونصرته والذود عنه.

النتائج والمقترحات:

وقد تبين للباحثة:

١- تنوع أساليب التربية بالنعم من المنعِم، للمنعَم عليهم.

٢- أنّ هذه السورة تعالج قضية العقيدة، وذلك بتعريف العباد برب العباد، من خلال نعمه ﷻ التي تظهر في هذه السورة بصور وأشكال متعددة، تربي نفوسنا وعقولنا وأخلاقنا، وتسمو بها نحو العلا والسعادة الأبدية.

٣- أنّ هناك تسلسلًا عجيبًا في سرد آيات السورة، يتناسب مع تربية الله -تعالى- لخلقه بالنعم، بمختلف أشكالها الواردة في هذه الرسالة، والتدرج بهذا التسلسل الرائع من بداية إيجاد تلك النعم وتصريفها والتربية بها، وأنها اشتملت على وجوه متعددة متقنة من أساليب التربية.

وهذا الإتقان في سرد عدة معانٍ تربوية بطريقة متسلسلة يدلنا على عظمة منزِّل القرآن وحكمته البالغة، وهو دليل على صدق قوله -تعالى-: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [سورة هود، الآية: ١]، فكأن الموضوع الواحد أحكم، ثم فصل على أجزاء السورة، وهذا يُظهر لنا إعجاز القرآن العظيم، وأنه كتاب حق من عند الله العليم الحكيم، فسبحان منزل الكتاب.

ثانيًا: المقترحات، والتوصيات:

١- أنصح الباحثين بتتبع التربية بالنعم في سور القرآن الكريم، لتكون سلسلة عظيمة النفع.

٢- التعلم من نهج القرآن في التسلسل في طرح الأفكار أثناء العملية التربوية.

٣- متابعة التدبر بهذه الطريقة على بقية السور؛ لنستخرج أطراف كل موضوع، وتنتظم لدينا أبعاده، وهو ما يسمى في زماننا بالتفسير الموضوعي، إلا أننا قدمنا له إضافة، وهي تدبر تسلسل الموضوع الواحد في السورة.

٤- لا يعمد المسلم لطرح آيات الترهيب والعذاب متناسيًا أنها نِعَم، فلا يُشعر من يتولى تربيتهم -خصوصا من الأطفال-أن الله-تعالى- لا يريد للإنسان خيرًا، وأن ناره وقوته وبطشه هي أعداء له، بل هي نعم، نحدث بها أطفالنا وكل من ندعوهم لله، ونحن مستشعرون منة الله-سبحانه- علينا بوجودها، فهي تحثنا على العمل، ويؤخذ بها الحق للمظلومين، ويردع بها الله كثيرًا من الظلم والإثم.

والله من وراء القصد والحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث:

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ط٣، (١٢٨/٥)، مادة (ربو).

(٢) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ط٤، ص٣٣٦.

(٣) الزيات، **المعجم الوسيط**، (د. ط)،(٩٣٥/٢).

(٤) المنهج الوصفي: عمل تقريري، يعرض موضوع البحث عرضًا إخباريًا بلا تعليل أو تفسير، ولذلك فإنه يكون في نهاية المطاف عبارة عن دليل علمي يهدي إلى القضايا أو الموضوعات أو المصطلحات أو الإشكالات العلمية، فيصفها كمًّا أو كيفًا أو هما معًا، بطريقة منهجية، دون أن يبدي رأيًا تعليليًّا أو تفسيريًّا لوضعها وطبيعتها، انظر: فريد الأنصاري، **أبجديات البحث في العلوم الشرعية**، ط١، ص٦٦.

(٥) المنهج التحليلي: يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة، تفكيكًا أو تركيبًا أو تقويمًا، فإذا كان الإشكال تركيبة منغلقة من التراث أو الفكر الإسلامي المعاصر قام المنهج التحليلي بتفكيكها وارجاع العناصر إلى أصولها، أما إذا كان الإشكال عناصر مشتتة فإن المنهج يقوم بدراسة طبيعتها ووظائفها؛ ليركب منها نظرية ما، انظر: فريد الأنصاري، **أبجديات البحث في العلوم الشرعية**، ط١، ص٩٦.

(٦) الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز**، ط١،(١٨٧/١)، بتصرف.

(٧) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ط١،(٢٧٠/١).

(٨) مصطفى مسلم، **التفسير الموضوعي**، ط١،(٣٩٣/٢).

(٩) رشيد رضا، **تفسير المنار**، ط٢،(٢٧٠/٨)، بتصرف.

(١٠) الجابري، **مقاصد أسماء سور القرآن**، ط١، ص٤٢.

(١١) الداني، **البيان في عَدِّ آي القرآن**، ط١، ص١٥١، الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز**، ط١،(١٨٦/١).

(١٢) أخرجه أحمد في **المسند**،ط١،(١٨٨/٢٨)،مسند الشاميين، حديث واثلة بن الأسقع، رقم (١٦٩٨٢)، وقال محققو المسند: "إسناده حسن".

(١٣) أخرجه الدارمي في **السنن**، ط١،(٢١٤١/٤)،كتاب فضائل القرآن، باب فضائل الأنعام، رقم (٣٤٤٤)، وقال محقق سنن الدارمي: "إسناده جيد".

(١٤) أخرجه أبو عبيد في **فضائل القرآن**، ط١،(٢٤٠/١)، باب فضل المائدة والأنعام، وهو أثر ضعيف؛ فيه علي بن زيد بن جدعان: ضعيف، وشيخه يوسف بن مهران لا يعرف إلا من رواية علي بن زيد عنه. انظر: ابن حجر، **تقريب التهذيب**، ط١، ص٤٠١،رقم (٤٧٣٤) ترجمة علي بن زيد بن جدعان، ص٦١٢ برقم (٧٨٨٦) ترجمة يوسف بن مهران.

(١٥) أخرجه الدارمي في **السنن**، كتاب فضائل القرآن، باب فضائل الأنعام ط١،(٢١٤١/٤)، رقم (٣٤٤٥)، وقال محقق سنن الدارمي: "إسناده جيد".

(١٦) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (د. ط)، (٣٩/١).

(١٧) السابق،(٩٩/١).

(١٨) السيوطي، **أسرار ترتيب القرآن**، (د. ط)، ص٨١.

(١٩) السيوطي، **أسرار ترتيب القرآن**، (د. ط)، ص٧٣، والزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ط١،(٧٣/١)، والبقاعي، **نظم الدرر** ٢٤١/٥.

(٢٠) السيوطي، **أسرار ترتيب القرآن**، (د. ط)، ص٧٣.

(٢١) رشيد رضا، **تفسير المنار**، ط٢،(٢٨٩/٧).

(٢٢) انظر رشيد رضا، **تفسير المنار**، ط٢،(٢٨٨/٧، ٢٨٩).

(٢٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط١، ص٣٩.

(٢٤) انظر القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية، **التفسير المحرر للقرآن الكريم**، ط١،(٨/٥).

(٢٥) السامرائي، **التناسب بين السور في المفتح والخواتيم**، ط١، ص١٦.

(٢٦) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (د.ط)، (٣/٧).

(٢٧) الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط١٠،(١٣١/٧، ١٣٢).

(٢٨) الرازي، **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، ط٣،(٤٧٢/١٢)، بتصرف يسير.

(٢٩) أخرجه ابن ماجه في **السنن**، (د. ط)، ١٢٥٠/٢،كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، رقم (٣٨٠٥)، وصححه الألباني في **صحيح الجامع الصغير**. انظر: الألباني، **صحيح الجامع الصغير**، (د. ط)،(٩٧٥/٢)، رقم (٥٥٦١).

(٣٠) أخرجه النسائي في **السنن الكبرى**، ط١،(١٥٩/٧)،كتاب النعوت، الحب والكراهة، رقم (٧٦٩٨)، وأحمد ٤٣٥/٣ (١٥٦٧١) وقال أبو الحسن الهيثمي في **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ج١٠ ص٩٢ "أحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح".وحسنه الألباني في **السلسلة الصحيحة**. انظر: الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، (د. ط)،(٥٤٣/٧)، رقم (٣١٧٩).

(٣١) السعدي، **مجموع مؤلفات الشيخ السعدي**، ط١،(٦٤٨/٦).

(٣٢) القحطاني، **برنامج التفسير المباشر: سورة الأنعام**. https://youtu. be/٣rLsnHOGH٩g.

(٣٣) الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ط١،(٣٤٤/٢١).

(٣٤) الغريبي، **الحمد في القرآن الكريم والسنة النبوية دراسة موضوعية**، ط١، ص٥٤.

(٣٥) الصابوني، **صفوة التفاسير**، ط١،(٣٥١/١).
(٣٦) البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ط١،(١٦١/٢).
(٣٧) البقاعي، **نظم الدرر**،(د.ط)،(١٠٦/٧)، بتصرف يسير.
(٣٨) الخطابي، **شأن الدعاء**، ط١، ص٥٧.
(٣٩) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ط١، ص٢٥٩.
(٤٠) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ط٣، (١٣٤/٢٥).
(٤١) النجدي، **النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى**، ط٢، ص١٢٥-١٥٧.
(٤٢) ابن منظور، **لسان العرب**، ط٣،(٤٩٣/١٠).
(٤٣) أخرجه البخاري في **الصحيح**، ط١،(١١٦/٩)، كتاب التوحيد، باب قوله -تعالى-: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾، رقم (٧٣٨٢)، ومسلم في **الصحيح**، (د. ط)، (٢١٤٨/٤)، رقم (٢٧٨٧)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار.
(٤٤) أخرجه البخاري في **الصحيح**، ط١،(١٤٤/٦)،كتاب تفسير القرآن، سورة الرحمن، معلقًا.
(٤٥) أخرجه الترمذي في **السنن**، ط٢،(٦١٢/٤)، رقم (٢٤١٧)، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، باب: في القيامة، وقال: "هذا حديث حسن صحيح".
(٤٦) النجدي، **النهج الأسمى**، ط٢، ص٧٣-٧٦.
(٤٧) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ط١، ص٢٦٢.
(٤٨) جبل محمد، **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن**، ط١، (١٥٥٠/٣).
(٤٩) السابق،(١١٧٨/٢).
(٥٠) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ط٣،(١٤٠/٢٥).
(٥١) عبد الكافي، **الوعد الحق**، ط١، ص٩١.
(٥٢) الحليمي، **المنهاج في شعب الإيمان**، ط١، (١٩١/١، ١٩٢).
(٥٣) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط١،(١١١/٤).
(٥٤) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط٢،(٣٠٨/٣).
(٥٥) أخرجه أبو يعلى في **المسند**، ط١،(٣٤٩/٧)، رقم (٤٣٨٦)، مسند عائشة، والطبراني في **المعجم الأوسط**، (د. ط)،(٢٧٥/١)، رقم (٨٩٧)،باب الألف، من اسمه أحمد، **قال الهيثمي (ج٤ ص٨٩) رواه أبو يعلى وفيه مصعب بن ثابت وثقه ابن حبان وضعفه جماعة**. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة.انظر:الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، ط١،(١٠٦/٣)، رقم (١١١٣).
(٥٦) العودة سلمان، **مع اسم الله الأعظم وقصة الأسماء الحسنى**، ط٢، ص٢٨٤،٢٨.
(٥٧) القنوجي صديق خان، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، (د. ط)،(٢١١/٤)، بتصرف يسير.
(٥٨) ابن القيم، **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة**، ط١،(١٥٦٧/٤).
(٥٩)جبل محمد، **المعجم الاشتقاقي المؤصل**، ط١،(١٦٤٧/٣).
(٦٠) الحليمي، **المنهاج في شعب الإيمان**، ط١،(١٩٦/١).
(٦١) الخطابي، **شأن الدعاء**، ط١،ص ٩٢-٩٣.
(٦٢) النجدي، **النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى**، ط٢، ص٤٦٤-٤٦٥.

(٦٣) أخرجه مسلم في **الصحيح**، (د،ط)،(١٩٩٤/٤)، رقم (٢٥٧٧)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.
(٦٤) الغريبي، **الحمد في القرآن الكريم والسنة النبوية**، ط١، ص٧٠،٧١، بتصرف يسير.
(٦٥) الزحيلي، **التفسير الوجيز**، ط١، ص١٣٤.
(٦٦) الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، (د. ط)،(٣٦١٧/٦، ٣٦١٨).
(٦٧) الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير**، ط١،(١٣٣/٢).
(٦٨) ابن عثيمين، **الكنز الثمين**، ط١،(١٤٨/٦).
(٦٩) قطب سيد، **في ظلال القرآن**، ط٣٢،(١٠٩١/٢، ١٠٩٢).
(٧٠) النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ط١،(٥٠٤/١).
(٧١) ابن عثيمين، **الكنز الثمين**، ط١،(١١٢/٦).
(٧٢) برانق وعلوان وحمزة، **غاية البيان في تفسير القرآن**، (د. ط)، (١٥/٢).
(٧٣) الشعراوي، **تفسير الشعراوي**،(د. ط)،(٣٦٠١/٦)، بتصرف.
(٧٤) الشوكاني، **فتح القدير**، ط١،(٤١٦/٢).
(٧٥) ابن عثيمين، **الكنز الثمين**، ط١،(١١٥/٦،١١٤).
(٧٦) السابق نفسه، ط١،(١١٤/٦-١١٥).
(٧٧) السابق، ط١، (١١٦/٦).
(٧٨) ابن عثيمين، **الكنز الثمين**، ط١،(١١٧/٦).
(٧٩) الخميس، **فبهداهم اقتده.. قراءة تأصيلية في سير الأنبياء**، ط١، ص١٣٢،١٣١.
(٨٠) ابن عثيمين، **الكنز الثمين**، ط١،(١٨٠/٦).
(٨١) ابن عاشور، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المعروف بالتحرير والتنوير**، (د. ط)، (٢٦١/٧، ٢٦٢)، بتصرف.
(٨٢) الصابوني، **صفوة التفاسير**، ط١، (٦٦/١).
(٨٣) الطبري، **جامع البيان**، ط١،(٤٠٩/١١).
(٨٤) الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (د. ط)،(٤٨٥/١).
(٨٥) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ط١، ص٢٥٩.
(٨٦) ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، ط٢،(٢٩٧/٣).
(٨٧) الطبري، **جامع البيان**، ط١،(٣٧١/١٦).
(٨٨) السابق ط١،(٣٧٣/١٦).
(٨٩) السابق ط١،(٣٨٧/١٦).
(٩٠) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ط١، (١٨٣/٣).
(٩١) ابن القيم، **الداء والدواء**، ط١، ص٩٦.
(٩٢) الشنقيطي، **أضواء البيان**، (د. ط)،(٤٨٩/١، ٤٩٠)، بتصرف.

فهرس المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم:

١- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين:

- **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، ط(١)، (الرياض: دار المعارف، ١٤٢٢هـ).
- **صحيح الجامع الصغير**، (د. ط)، (بيروت: المكتب الإسلامي، د. ت).
٢- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**،المحقق: علي عبد الباري عطية،ط(١)،(بيروت:دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).
٣- بادويلان، أحمد بن سالم،**موسوعة آيات ومعجزات**،ط(١)،(الرياض:دار طويق للنشر، ١٤٢٧).
٤- البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)**، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط(١)، (دمشق: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).
٥- بدوي، عبد العظيم بدوي، **إرشاد العقل السليم إلى دلائل إلاهية الرحمن الرحيم**، ط(١)، (القاهرة: دار ابن رجب، ١٤٣٩هـ).
٦- برانق وعلوان وحمزة، محمد أحمد برانق وحسن علوان ومحمود محمد حمزة، **غاية البيان في تفسير القرآن**، (د. ط)، (قطر: إدارة إحياء التراث الإسلامي، د. ت).
٧- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، المحقق: محمد عبد الله النمر، ط(٤)، (الرياض: دار طيبة، ١٤١٧هـ).
٨- البقاعي، إبراهيم بن الحسن، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (د. ط)، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د. ت).
٩- البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط(١)، (لبنان: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ).
١٠- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، **سنن الترمذي**، المحقق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط(٢)، (مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ).
١١- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، **تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية**، المحقق: إياد بن عبد اللطيف، ط(١)، (السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٣٢هـ).
١٢- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، المحقق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وعبد الفتاح أبو سنة، ط(١)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).
١٣- الجابري، سيف بن راشد، **مقاصد أسماء سور القرآن**، ط(١)، (الإمارات: دار الواضح، ١٤٣٠هـ).
١٤- جبل، محمد حسن حسن، **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن**، ط(١)، (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠م).
١٥- الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ط(٤)، (القاهرة: دار السلام، ١٤١٢هـ).
١٦- ابن جزي، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، المحقق: محمد سالم هاشم، ط(١)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م).
١٧- الجصاص، أحمد بن علي، **أحكام القرآن**، المحقق: محمد صادق القمحاوي، (د. ط)، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٠٥هـ).

١٨- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الحنظلي، **تفسير القرآن العظيم**، المحقق: أسعد محمد الطيب، ط(٣)، (السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩هـ).